شرح كتاب حلية طالب العلم

الشيخ محمد العويد – رحمه الله –

الفصل الأول للعام ١٤٣٨

معهد العلوم الشرعية العالمي
تابع لملتقى طالبات العلم www.t-elm.net

الدرس الثاني

قال المؤلف رحمه الله:

٧- التحلي برونق العلم:

رونق العلم هو حسن السمت والهدي الصالح بدوام السكينة والوقار والخشوع والتواضع؛ فقد كان السلف كما قال ابن سيرين رحمه الله يتعلمون الهدي كما يتعلمون العلم.

فيا طالب العلم تجنب اللعب والعبث والتبذل في المجالس بالضحك والقهقهة وكثرة التنادر؛ فإن المزاح والضحك يضع من القدر، ويزيل المروءة، ويوغر الصدر، ويجلب الشر. وقد قيل: «من أكثر من شيء عرف به»، وقال عمر ﷺ: «من تزين بما ليس فيه شانه الله».

الشرح: العلم يكسب الخصال الحسنة، ومنها السمت الحسن، قال المناوي: السمت الحسن: حسن الهيئة والمنظر.

وقد روى الترمذي وغيره عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَرْجِسَ الْمُزَنِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: السَّمْتُ الحَسَنُ، وَالتُّؤَدَةُ وَالِاقْتِصَادُ جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ. صححه الألباني.

وروى الترمذي أيضاً عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خَصْلَتَانِ لاَ تَجْتَمِعَانِ فِي مُنَافِقٍ، حُسْنُ سَمْتٍ، وَلاَ فِقْهٌ فِي الدِّينِ. صححه الألباني.

ومن الخصال الحسنة، الوقارُ والخشوع والتواضع، ولا يفيد العلم بدونها؛ فهي المقصد الأسمى منه.

وبيئة العلم ينبغي أن تكون جادة، خالية من اللهو واللعب والضحك، إلا بحدود يسيرة، فلا مانع من المؤانسة بين طلاب العلم بالقدر الذي لا يذهب هيبة العلم ولا يخل به.

قال المؤلف رحمه الله:

٨- تحل بالمروءة:

المروءة فعل ما يجمل الإنسان ويزينه عند الناس، واجتناب ما يقبحه ويشينه؛ فعليك بها وما يحمل إليها من مكارم الأخلاق وطلاقة الوجه، وإفشاء السلام وتحمل الناس وغير ذلك، وابتعد عن خوارمها في طبع أو عمل؛ من حرفة مهينة، أو صفة رديئة؛ كالعجب والرياء، واحتقار الآخرين، وغشيان مواطن الريب والتهم، فرحم الله امرأ كف الغيبة عن نفسه.

الشرح: عرف الشيخ المروءة ها هنا بأنها: فعل ما يجمل الإنسان ويزينه عند الناس، واجتناب ما يقبحه ويشينه.

فالمروءة مرتبطة بسمعة الشخص، وما يتكون لدى الآخرين من صورة عنه. ولذا فمن المهم أن تتحلى طالبة العلم بخصال الخلق الحسن؛ لأنها قدوة، والناسُ بطبعهم يتأثرون بصاحب الخلق الحسن.

ومن الخلق الحسن البشاشةُ وطلاقةُ الوجه والتبسمُ، والتبسط مع الناس وعدم الإثقال عليهم بالأقوال والتصرفات.

وهذه الخصال تكسب الطالبَ محبةَ الناس.

ويجمل بطالبة العلم أن تبتعد عن العجب بالنفس ومدحها؛ لأنها من صفات المرائي.

ومما تتجنبه احتقار الآخرين؛ بل تتواضع لهم.

قال المؤلف رحمه الله:

٩- التمتع بخصال الرجولة:

كالشجاعة، وشدة البأس في الحق ومكارم الأخلاق، والبذل في سبيل المعروف من مال أو جاه أو علم، واحذر نواقضها من ضعف الجأش، وقلة الصبر، وضعف المكارم؛ فإنها تهضم العلم وتقطع اللسان عن قول الحق.

الشرح: خصال الرجولة ليست خاصة بالرجال، فالشجاعة - مثلاً – للجميع وهي من صفات الطالبة التي ينبغي لها أن تتمتع بها، وشجاعتها في تجردها لقبول الحق وبيانه،

فإن النفوس ربما يصيبها حظ النفس فتغرق فيه وترفض الحق، لكن الشجاعة في قبول الحق أياً كان قائله.

ومن الشجاعة البذل، بذل المال كرماً وبذل الجاه في سبله، وبذل العلم حيث يحتاج إليه.

قال المؤلف رحمه الله:

١٠- هجر الترف:

لا تكثر من التنعم والرفاهية؛ فإن البذاذة من الإيمان كما صح عن النبي ﷺ، وقال عمر رضي الله عنه: «إياكم وزي العجم وتمعددوا واخشوشنوا..».

فالحلية في الظاهر كاللباس عنوان على انتماء الشخص، وتحديد له؛ بل هو وسيلة من وسائل التعبير عن الذات؛ فخذ من اللباس ما يزينك ولا يشينك، واجعل ملبسك وكيفية لبسك يلتقيان مع شرف ما تحمله من العلم الشرعي، وكان عمر رضي الله عنه يقول: «أحب إلي أن أنظر القارئ أبيض الثياب»، واعلم أن الناس يصنفونك من لباسك؛ بل إن كيفية اللبس تعطي للناظر تصنيف اللابس من: الرصانة والتعقل والتمشيخ والرهبنة والتصابي وحب الظهور.

فإياك ثم إياك من لباس التصابي واللباس الإفرنجي الذي لا يخفى عليك حكمه، وليس معنى هذا أن تأتي بلباس مشوهة؛ لكنه الاقتصاد في اللباس برسم الشرع.

الشرح: قسم الله عز وجل الأرزاق، وجعل سبحانه الناس ما بين غني وفقير ومتوسط، وطالبة العلم قد تنتمي إلى أحد هذه الثلاثة أصناف.

وإذا كان يغلب على أهل الغنى الترف وإبراز المظاهر، فإن طالبة العلم تتواضع، ولا تتكبر، ولا يكن همها إنفاق المال والتوسع التام في الملبس والمركب وغيرها؛ لأن طلب العلم يتنافى مع الترف الظاهر.

ولا يعني هذا أن تعيش حياة الفقر، فإن صون العلم لا يتعارض مع التوسع المحمود في وسائل المعيشة.

وقد روى أحمد والترمذي عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ» صححه الألباني.

لكن طلب العلم لا يستقيم مع التمظهر بالرفاهية، فإن التوسط خير الأمور.

وأما ثياب الشهرة فإنها محرمة، ومثلها التشبه بالفاسقات أو الكافرات، فإلى جانب أنها محرمة على النساء المسلمات، إلا أن طالبة العلم تنزه نفسها عنها؛ لأنها قدوة لغيرها.

قال المؤلف رحمه الله:

١١- الإعراض عن مجالس اللغو:

ابتعد عن مجالس اللغو التي لا فائدة فيها، واعلم أنها تهتك أستار الأدب، فإن فعلت ذلك فإن جنايتك على العلم وأهله عظيمة.

الشرح: الغالب على مجالس المسلمين اللغو، فيحصل فيها الغيبة والنميمة والكلام المحرم أو ما لا فائدة فيه، وكثير من العادات السيئة تكتسب في تلك المجالس.

والمؤلم حقاً عندما تكون مجالس الأقارب بهذه الصورة، فتجد الطالبة حرجاً كبيراً فيها؛ لأنها مجالس صلة رحم.

وكثير من الفتيات الصالحات تواجه مشكلة في تلك المجالس، فلا تجد من يستمع لنصحها، أو قد تكون خجولة فلا تقدر على النصح والإرشاد المباشر، فربما تجنبت هذه المجالس وابتعدت عنها بسبب خوفها من الإثم.

والذي ينبغي لها أن تفكر في طريقة مؤثرة توصل فيها نصحها لهم، فإن الناس فيهم خير عظيم، ولديهم قبول لكلمة الحق، متى ما كانت بأسلوب مناسب.

قال المؤلف رحمه الله:

١٢- الإعراض عن الهيشات:

صن نفسك أيها الطالب من اللغط والهيشات؛ لأنها تشتمل على السبِّ والشتم وغير ذلك من الأخلاق القبيحة، وهذا ينافي أدب الطلب.

الشرح: كان خلق النبي صلى الله عليه وسلم القرآن، وقد ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: «أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ الْقُرْآنَ»

وقد قال الله تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}القلم٤. فلم يسمع منه صلى الله عليه وسلم كلمة جارحة أو سب أو شتم.

وهو المعلم الأول عليه الصلاة والسلام، فحري بمن انتظم في سبل العلم أن يقتدي به في أخلاقه، سواء كان ذلك في المواطن العادية أو مواطن الغضب والجدال وغيرها.

قال المؤلف رحمه الله:

١٣- التحلي بالرفق:

تجنب الكلمة الجافية في خطابك واجعله لينًا، وكذا تجنب الفعل الجافي حتى تتألف النفوس الناشزة، والأدلة في ذلك كثيرة، وكما يقولون: «الكلام اللين يغلب الحق البين». فكن أيها الطالب رفيقًا من غير ضعف، عنيفًا في مواضع العنف، وإذا دار الأمر بينهما فالأولى الرفق [١].

الشرح: الرفق من صفات المؤمنين، وقد ثبت عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ اليَهُودُ يُسَلِّمُونَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُونَ: السَّامُ عَلَيْكَ، فَفَطِنَتْ عَائِشَةُ إِلَى قَوْلِهِمْ، فَقَالَتْ: عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ» فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا يَقُولُونَ؟ قَالَ: "أَوَلَمْ تَسْمَعِي أَنِّي أَرُدُّ ذَلِكِ عَلَيْهِمْ، فَأَقُولُ: وَعَلَيْكُمْ" متفق عليه.

وفي صحيح مسلم عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»

والرفق ينافي الجفاء في الكلام. وكل موطن يستعمل فيه الرفق فإن عاقبته إلى خير.

والرفق في الكلام أدعى لقبول الحق، وهو في النصح أحظى بالقبول. وطالبة العلم لابد لها من استصحاب الرفق في طلبها؛ بل في حياتها كلها.

---

(1) شرح محمد بن صالح العثيمين ش٢.

قال المؤلف رحمه الله:

١٤- التأمل:

عليك بالتأني والتريث في كلامك وأفعالك، وتأمل عند التكلم بماذا تتكلم وما هي عائدته، وتأمل عند المذاكرة [المناظرة] كيف تختار القالب المناسب للمعنى المراد، وكذا عد سؤال السائل كيف سؤاله على وجهه حتى لا يحتمل وجهين، وأيضًا تأمل كذلك عند الجواب [١].

الشرح: التأني وعدم العجلة من أخلاق الطلب، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس: "إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ". رواه مسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه.

فالتأني محبوب عند الله تعالى، وغالباً ما يكون الندم مع العجلة؛ بسبب عدم التأمل في الأمر والأخذ بالأصوب.

أما التأني فإنه يعطي صاحبه فرصة للإحاطة بالأمر ثم اتخاذ الصواب فيه.

قال المؤلف رحمه الله:

١٥- الثبات والتثبت:

عليك الصبر والثبات في التلقي؛ لا تمل ولا تضجر، واطو الساعات في الطلب على الأشياخ، وكذا عليك بالتثبت فيما يصل إليك من أخبار وفيما ينقل عنك من أحكام.

الشرح: الثبات يعني الصبر في طريق الطلب وعدم الملل. وتحمل الطلب شاق في أوله، ممتع بعد ذلك.

وأسباب الملل في الطلب كثيرة، من أهمها، الإكثار على النفس في القراءة والتحصيل، وكثرة حضور الدروس فوق الطاقة والقدرة، والحاجة في أول الطلب تستدعي التأني والتقليل قدر الإمكان تحصيلاً للفهم والاستيعاب.

وكثير ممن تركوا العلم بسبب إكثارهم على أنفسهم، فحصل لهم الملل، وقد ثبت عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ، قَالَ: «مَنْ هَذِهِ؟»

---

(1) المرجع السابق.

قَالَتْ: فُلاَنَةُ، تَذْكُرُ مِنْ صَلاَتِهَا، قَالَ: «مَهْ، عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ، فَوَاللَّهِ لاَ يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا» وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَادَامَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ. متفق عليه.

والتثبت يعني التأكد من كل ما يصل من معلومات أو أخبار، فالعلم الشرعي دين، والدين لابد فيه من التثبت، ولابد – أيضاً – أن يؤخذ من الأثبات الموثوقين.

وكذلك الأخبار التي تصل من الآخرين لابد فيها من التثبت، والله تعالى يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} الحجرات٦.

يوم الإثنين ١٦\ محرم \ ١٤٣٨ هـ الموافق ١٧\ ١٠\ ٢٠١٦م

معهد العلوم الشرعية ١٤٢٩هـ